م 2/النقد الثقافي ، ميشال فوكو

إن إنتاج الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو الثقافي، ورؤيته المؤثرة في مفهوم النقد الثقافي والأدب ومفهوم الفن، ككل، متخذًا من التاريخ عنونًا لبناء فكره، حيث يرى أنه عنصر أساسي في البناء، ويكشف المجتمعات بتعريتها في فترة ما من حياتها، وبذلك ينفي أحادية رؤية المجتمعات والفترات التاريخية، ويبعثر الأحكام العامة والمعتادة، ويقترب من السيمو-ثقافي والسيمولوجي واهبًا النص بعد تأريخي ربما يكون دلالي، وربما يربض الكاتب الضمني، ودائمًا يكشف المجتمعات، كذلك يقدم مشروع نقدي أكثر شمولاً ممن سبقه، فيشمل خطاب النص، ككل، ولا ينتمي لأحادية أيديولوجية دوجماتية، جامدة، وعند ميشيل فوكو تتجلى الجدلية ثانية عند قالب الثنائية بين النقد الثقافي والبنية المتهم بالنص كعمل جمالي بالأساس لا يخضع لقولبة الأيدولوجيات والبنية الدلالية، لكن ميشيل فوكو لا ينفي بنظريته البنيوية، ولا يتنصل منها، فلا ينفي دور الرؤية الجمالية والبنيوية، ومن طرح سيرة شخصية وفكرية لفوكو تنبثق بنية شخصيته ورؤيته للفكر، ككل، سواء الأدبي والنقدي أو السياسي والفلسفي.

إن تأثير أعمال الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في النقد الثقافي واضح، خاصة المادية التاريخية والتاريخانية الجديدة، حيث تناول فوكو السلطة في الخطاب اللغوي، وفي مؤسسات لم يكن ينظر إليها بوصفها أشكالاً لممارسة السلطة والهيمنة، كالسجون ومصحات الأمراض العصبية والمدارس والثكنات وغيرها، وعمل على إبراز الطابع المعقد لعلاقة السلطة بالمعرفة، والحفر في طبقاتها، التي تختفي تارة في صورة خطابات معرفية، وتارة أخرى في أبنية أشكال وخطابات متعددة. وقام فوكو بتفكيك أنساق السلطة، التي تختفي في أشكال من الخطاب المؤسسي والفردي، عبر اجترح مقاربة تجمع بين التحليل البنيوي، القائم على تفكيك بنى النص وأنساقه الداخلية، وتفسير علاقته بأنساق السلطة .

وبذا يسعى فوكو لتعريف النقد، ولكنه يجد بأن سلسة من التقاربات وحدها ممكنة. سيعتمد النقد على عناصره، ولكن عناصره في المقابل ستعرف معنى النقد بعينه. بالإضافة إلى أن المهمة الأولية للنقد لن تكون تقييم ما إذا عناصره- الظروف الاجتماعية، الممارسات، الصيغ المعرفية، القوة والخطاب- جيدة أم سيئة، مقدرة أو منحطة، ولكن لإجلاء هيكلة العملية ذاتها للتقييم نفسه. ما هي علاقة المعرفة بالقوة للدرجة التي تظهر بها يقيناتنا الأبستمولوجية داعمة لطريقة هيكلة للعالم تمنع الاحتمالات البديلة للتنظيم؟ يمكننا التفكير بالطبع بأننا نحتاج يقينا أبستمولوجيا من أجل الإقرار بالتأكيد بأن العالم وحري به أن يُنظم بطريقة معينة. إلى أي مدى مع هذا، تُدار هذه اليقينية من قبل صيغ معرفية تحديدا من أجل منع احتمالية التفكير بطريقة أخرى؟ الآن، يمكن للمرء أن يتساءل بحكمة، ما فائدة التفكير بطريقة أخرى، إذا لم نعلم قدما بأن التفكير بطريقة مختلفة سينتج عالما أفضل؟ إذا لم نمتلك هيكلة أخلاقية نقرر من خلالها وبمعرفة بأن احتمالات جديدة معينة أو طرق في التفكير

ستقدم ذاك العالم حيث يمكننا الحكم على أفضليته بمعايير مؤكدة ومحققة مسبقا؟ بات هذا شيئا من الرد المعتاد على فوكو والعقلية الفوكوية.